المقتطف

الجزء الرابع من المجلد الثامن والخمسين

١ ابريل (نيسان) سنة ١٩٢١ — الموافق ٢٢ رجب سنة ١٣٣٩

الوزارة المصرية

في الخامس عشر من شهر مارس الماضي رفع صاحب الدولة محمد توفيق نسيم باشا استقالة وزارته الى عظمة السلطان بانياً الاستقالة على ان وزارتهُ « بدأ عهدها فبدأت معهُ المفاوضات غير الرسمية بشأن امانيِّ الامة ومصالح الغير بين رؤوس مدبرة وعقول مفكرة وهي تتمةُ بظهور آية البشرى على يد سيد البلاد وسلطانها فكانت خاتمة الماضي وبشير فاتحة المستقبل وان وزارتهُ جاهرت اثر تشكيلها انها تسلمت الاعمال لتكون امانة في يدها وان لا تبت في نظامات القطر السياسية » . الى ان قال « اني قبلت وقتئذٍ الرآسة معلناً ارتياحي لبدء تلك المفاوضات مقدماً حينئذٍ تنازلي عن الرآسة لمن يقع اختيار عظمتكم عليهِ اذا وفق الله وجاء دور المفاوضات الرسمية »

فجاءهُ الجواب السلطاني في ١٦ مارس وهذا نصهُ

عزيزي محمد توفيق نسيم باشا

ان ما اوضحتموهُ دولتكم بكتاب استقالتكم المرفوع الينا بتاريخ ١٥ مارس سنة ١٩٢١ من صحيح الاخلاص ونبالة المقصد فوق ما نعلمهُ من تفانيكم في خدمة مصلحة البلاد وخير الامة كان لهُ لدينا احسن وقع . فمع ابداء عظيم اسفنا على استقالتكم نشكركم وحضرات الوزراء زملائكم على ما ادَّيتموهُ جميعاً من الخدمات الصادقة التي تحفظ لكم دوام الثقة من لدنا

وقد اصدرنا امرنا هذا لدولتكم بذلك

في ٦ رجب سنة ١٣٣٩ و١٦ مارس سنة ١٩٢١ الامضاء (فؤاد)

وفي ذلك اليوم صدر الامر الكريم الى حضرة صاحب الدولة عدلي يكن باشا بتأليف وزارة جديدة وهذا نصهُ

عزيزي عدلي يكن باشا

لقد كان من اقوى بواعث السرور لدينا ابلاغ امتنا المحبوبة قرار الحكومة البريطانية الذي تبلغ الينا بواسطة حضرة صاحب المقام الجليل مندوبها السامي فيما يتعلق بالغاء الحماية وتعيين وفد رسمي من جانبنا للمفاوضة في وضع اتفاق بين البلدين . وانا لنبتهج لهذا القرار الذي فتح الطريق لتحقيق الاماني القومية

وبما لنا في ذاتكم من الثقة الكاملة قديماً وما لمهدهُ فيكم من الروية الصائبة التي تستدعيها مهام الامور فد اقتضت ارادتنا السلطانية توجيه مسند رآسة مجلس وزرائنا مع رتبة الرآسة الجليلة لعهدة لياقتكم

واصدرنا امرنا هذا لدولتكم للاخذ بتأليف هيئة وزارة جديدة تقوم باتخاذ الوسائل السياسية التي تقتضيها الظروف الحاضرة وعرض مشروعهِ لجانبنا لصدور مرسومنا العالي بهِ

واني اضرع الى الله عز وجل بان يجعل التوفيق رائدنا فيما يعود على بلادنا ورعايانا بالخير والسعادة بحولهِ تعالى وقوتهِ

في ٦ رجب سنة ١٣٣٩ (١٦ مارس سنة ١٩٢١) (فؤاد)

جواب حضرة صاحب الدولة عدلي يكن باشا

يا صاحب العظمة

اتقدم لعظمتكم بجزيل الشكر على ما اوليتموني من الثقة العالية اذ تفضلتم بتكليفي بتأليف الوزارة في الظروف الحاضرة وشرفتموني بتقليدي رتبة الرآسة

لقد كان لي من جليل عواطف عظمتكم اكبر مشجع على قبول تلك المهمة ووضع اخلاصي كلهِ في خدمتكم وفي خدمة البلاد

لذلك اتشرف بان اعرض على عظمتكم اسماء الوزراء الذين تتألف منهم هيئة الوزارة وقد قبلوا مشاركتي في العمل حتى اذا صادف ذلك الاستحسان العالي يصدر الامر الكريم بالتصديق عليهِ

حسين رشدي باشا	نائب رئيس مجلس الوزراء
عبد الخالق ثروت باشا	وزير الداخلية
اسماعيل صدقي باشا	وزير المالية
احمد زيور باشا	وزير المواصلات
جعفر والي باشا	وزير المعارف العمومية
احمد مدحت يكن باشا	وزير الاوقاف
محمد شفيق باشا	وزير الاشغال العمومية والحربية والبحرية
نجيب بطرس غالي باشا	وزير الزراعة
عبد الفتاح يحيى باشا	وزير الحقانية

ان الوزارة ستجعل نصب عينيها في المهمة السياسية التي ستقوم بها لتحديد العلاقات الجديدة بين بريطانيا العظمى وبين مصر الوصول الى اتفاق لا يجعل عملاً للشك في استقلال مصر وستجري في هذه المهمة متشبعة بما تتوق اليه البلاد ومسترشدة بما رسمته ارادة الامة وستدعو الوفد المصري الذي يرأسه سعد زغلول باشا الى الاشتراك في العمل لتحقيق هذا الغرض

ومما يوجب الارتياح ان تصريح الحكومة البريطانية بان المفاوضات ستجري على اساس الغاء الحماية من شأنه ان يسهل مهمة الوزارة من هذه الوجهة فان ذلك التصريح الذي يدل على حسن استعداد بريطانيا العظمى مما يدعو الى الامل بان المفاوضات التي ستحصل بهذه الروح ستفضي الى اتفاق محقق للاماني الوطنية وتكون فاتحة عصر جديد بين البلدين شعاره المودة وتبادل الثقة وسيكون للامة على لسان الممثلين لها في الجمعية الوطنية القول الفصل في هذا الاتفاق

وبما ان هذه الجمعية ستكون ايضاً بمثابة جمعية تأسيسية فان الوزارة ستأخذ على عاتقها تحضير مشروع دستور موافق للمبادىء الحديثة للانظمة الدستورية وستحاط الانتخابات لهذه الجمعية بكل الضمانات التي تكفل تمام حريتها وتنظم بكيفية تحقق تمثيل رأي الامة تمثيلاً صحيحاً

وفي هذا المقام تعرب الوزارة عن اعتقادها بان الظروف الحاضرة تبرر الاسراع في الرجوع الى النظام العادي وبانها ستتمكن بفضل تفوذ عظمتكم من

رفع الاحكام العسكرية والغاء الرقابة في القريب العاجل . واننا نعتمد على حكمة الامة في تسهيل هذا العمل الذي يحقق نجاحهُ اعز امانيّ الوزارة

واننا لندرك حق الادراك ما تحتاج اليهِ البلاد من الاصلاحات الكبرى بيد اننا نتمسكنا باشتراك الامة في وضعها نمتنع عن كل تغيير جوهري قبل تنفيذ النظام النيابي الجديد. على اننا بتأييد عظمتكم لنا سنعنى بادارة امور البلاد ونشط في خير الطرق واصلحها للمحافظة على مرافقها وتوسيع نطاق رقيها وستكون المسألة الاقتصادية الحاضرة موضوع اهتمامنا العظيم

هذا واننا الوزارة على يقين من ان هذا المنهاج يرافق المقاصد التي ما زالت عظمتكم تصبو اليها لخير رعاياها وهي مع ما تشعر بهِ من عبء المسؤولية الملقاة على عاتقها تأمل الوصول بمهمتها الى النجاح المنشود معتزة بعطف وتعضيد عظمتكم ومعتمدة على ثقة البلاد

وانا لعظمتكم العبد الخاضع المطيع والخادم المخلص الامين

القاهرة في ٧ رجب سنة ١٣٣٩ (١٧ مارس ١٩٢١) عدلي يكن

وفي اليوم التالي اي ١٧ مارس صدر المرسوم السلطاني بتأليف الوزارة الجديدة كما ذكر في بيان صاحب الدولة رئيس الوزراء

***

وقد علقت جريدتنا المقطم على بيان الوزارة العدلية المنشور آنفاً كلاماً نشر في العدد الصادر في ١٩ مارس رأينا ان نثبتهُ هنا وهو

في تاريخ كل امة أعلام يهتدى بها وحوادث عظيمة وايام مذكورة تظل مسطورة في حياتها القومية وظاهرة في مظاهر هذه الحياة ومفاخرها

وفي تاريخ كل امة وثيقة او وثائق ظلت ناطقة على توالي العصور باثرها في اجيالها المتعاقبة كاعلان حقوق الشعب (المجنا كرتا) في تاريخ انكلترا واعلان الاستقلال في تاريخ الولايات المتحدة وفرمان الولاية لمحمد علي الكبير

ولا نغالي اذا قلنا ان يوم الخميس اول امس سيكون من هذه الايام المشهودة في تاريخ مصر . وان البيان التاريخي العظيم الذي رفعهُ صاحب الدولة عدلي يكن باشا الى الحضرة العلية السلطانية وضمنهُ الخطة التي استقرَّ قرارهُ وقرار اصحاب

المعالي زملائهِ على اتباعها في هذه المرحلة الدقيقة التي تجتازها مصر سعياً الى ما تصبو اليهِ من الاستقلال والوصول الى المنزلة التي تستحقها في هيئة الامم الراقية — ان هذا البيان سيكون وثيقة تحفظ في تاريخ الشرق الحديث وتصير ركناً من اركان النهضة القومية الدستورية فيهِ

أُفرغ البيان الوزاري في قالب الرصانة والوقار اللذين تقتضيهما هيبة الموقف وعظمة المهمة التي اتخذتها الوزارة العدلية على عاتقها فكان وقعهُ من هذا القبيل كبيراً في نفوس الذين يعنون بالعبارات التي يختارها رجال السياسة للتعبير عن آرائهم وخططهم لما في ذلك من الدلالة على الثقة والتصميم الناشئين عن الاقتناع بصحة ما يرمون اليهِ ولاسيما متى بلغ هذا الاعتقاد منزلة الايقان التي تتجلى بابهى مجاليها في خدمة الوطن وتحقيق امانيهِ الشعوب

جمع البيان فاوعى في اقسامهِ الثلاثة السياسية والادارية والاقتصادية ولم يترك امراً تتوق الامة الى معرفة خطة الوزارة فيهِ الاَّ بسطهُ على قدر ما يحتملهُ المقام في مثل هذه البيانات التي تكون في الغالب رمزاً الى ما يراد واشارة الى ما يُطلَب

على ان ايجازهُ هذا لم يحُل دون اشباع الكلام في النقط الجوهرية التي جعلناها عنواناً لهُ في المقطم امس فاثبت ان الذين صاغوهُ من الذين يشار اليهم بالبنان في مضمار السياسة والذين افعمت قلوبهم حباً لوطنهم فلا يترددون في بذل النفس والنفيس في تحقيق امانيهِ هذا الوطن

نوَّه البيان بالغاية العظمى التي تسعى الوزارة لها وبسط الكيفية التي تنوي الوزارة اتباعها في ادراكها « مسترشدة بما رسمتهُ ارادة الامة » وجاهر دولة الوزير الحكيم بان الوزارة ستدعو الوفد الذي يرأسهُ معالي سعد باشا زغلول الى الاشتراك معها في العمل لتحقيق هذا الغرض السامي فكان ذلك مطابقاً لرأي العقلاء ومحققاً لامنية الامة التي تود ان ترى جميع ابنائها الكرام يداً واحدة في بناء صرح استقلالها وكيانها على نحو ما تمنيناه في مقالاتنا الماضية . وكان من هذا القرار اعتراف من الوزارة بجهاد الوفد المصري العظيم في خدمة القضية المصرية خدمة اعترف بها القاصي والداني وتصريح صريح عما يختلج ضمير الامة المصرية

ولو اقتصرت الوزارة على هذه المهمة السامية لكان لها منها عبء شاق لان تقرير مصير البلدان ليس من الامور الهينة. وقد شهدنا في الاعوام الثلاثة الماضية ما يكفي لبيان اهميته وكثرة ما يقتضيه من الجد والنشاط وسعة الصدر والحيلة والايقان الممزز بالصبر وطول الاناة

ولكن الوزارة تجاوزت ذلك الى اعمال ومهام اخرى كل منها يستحق بياناً قائماً بنفسه. خذ مثلاً الجمعية الوطنية التي سيكون لها القول الفصل في مشروع الاتفاق الذي يعقد في المفاوضات الرسمية المقبلة فالوزارة ستأخذ على عاتقها تحضير مشروع دستور يوافق المبادىء الحديثة للانظمة الدستورية وتتخذ كل ما يلزم لتكفل حرية الانتخابات وتنظيمها تنظيماً يحقق تمثيل رأي الامة تمثيلاً صحيحاً. ولهذا الغرض رأت الوزارة وجوب الرجوع الى النظام العادي برفع الاحكام العسكرية والغاء الرقابة لتطلق حرية الرأي والكلام وتتمكن الصحف من بسط الآراء ونشر كل ما يهم البلاد في نظامها السياسي والاقتصادي ايضاً وليتمكن المرشحون من اذاعة برنامجهم السياسية ويستطيع الخطباء ان يخطبوا في امور الانتخاب طبقاً للعادة المتبعة في البلدان الدستورية

وقد استدركت الوزارة استدراكاً يدل على بُعد النظر وصحة الرأي فصممت على تأجيل الاصلاحات الكبرى التي تحتاج البلاد اليها حتى ينشأ في مصر هيئة نيابية تمثل رأي الامة وتشارك الحكومة في الرأي والمشورة في كل ما يتعلق بهذه الاصلاحات. وهي نزعة دستورية من الوزارة العدلية تشكر عليها وفاتحة عصر جديد يشاد فيه الحكم الدستوري الصحيح وتشب فيه الامة وتخرج من حكم الوصاية وتتولى شؤونها بنفسها كما يفعل الرشيد

على ان الوزارة لم يفتها ان في البلاد مسائل معجلة تفتقر الى المعالجة في الحال وفي مقدمتها مشكلتنا الاقتصادية الكبرى بفروعها المعروفة فقد وعدت بان تجعل هذه المسألة موضوع اهتمامها العظيم بناء هذا مؤيداً لما تمنيناه في مقطم يوم الخميس لما توقعنا من صاحب المعالي وزير المالية ان يجعل فاتحة اعماله معالجة الازمة الاقتصادية واشرنا الى ظهور التباشير بتوفيق الوزارة العدلية بالمليون من الجنيهات التي ردتها الحكومة البريطانية الى مصر. وغني عن البيان ان السياسة سياج الاقتصاد وان وقاية الحالة الاقتصادية من اهم مهام الحكومات

استقبلت البلاد الوزارة العدلية بالابتهاج والارتياح والاستبشار وكان استقبالها هذا قبل صدور البيان الوزاري العظيم الشان وكان قائماً على ما هو معروف من همة دولة رئيسها ومعالي اعضائها وسمو قصدهم وصدق وطنيتهم وما لهم من اليد الطولى في خدمة القضية المصرية . اما وقد كاشفوا الامة جهاراً بما ينوون وما سيسعون لهُ فان هذا الابتهاج تحول الى حماسة مقرونة بالدعاء للواحد الجبار ان يأخذ بيد وزارة مصر ويعدها بروح من عنده لتحقق امانى الامة وتخرج هذا البيان السامي الى حيز الوجود فتخطو مصر الخطوة العظمى في تاريخها الحديث وترقى الى المرتبة التي هي اهل لها بتفاني ابنائها الكرام وارشاد اقطابها الفخام وولاء شعبها ذي التاريخ المجيد

ومما هو جدير بالذكر والتنويه ان الامة شعرت بعد نشر هذا البيان انها دنت من تحقيق امانيها التي جاشت في صدورها وكانت الشغل الشاغل لها وادركت ان هذه الاماني العظيمة صارت دانية القطوف قريبة المنال فكأنها الهمت ان دور الاستعداد والتأهب يوشك ان ينتهي وان دور العمل بدأ وان المرحلة القادمة ستكون المرحلة التي طالما صبت اليها النفوس وارهفت لاجلها الاقلام

على ان الوزارة مهما بلغ من علو كعبها لا تستطيع القيام بهذه المهام الشاقة او تنهض بهذه الاعباء الثقيلة وحدها فلا بد لها من مؤازرة الامة — مؤازرة المفكرين وذوي الآراء الصائبة والمتفانين في حب وطنهم وخدمته فيكونون جميعاً يداً واحدة تشد ازر الوزارة في ما تسعى لهُ من الخير وما ترجوه من النجاح في بناء صرح مصر القومي والسياسي والاقتصادي على اساس رغبة الامة واتحادها وتعاونها على ابلاغ الوطن ارقى منزلة تطمح اليها النفوس وتصبو اليها الافئدة في عصر النهضة القومية التي كانت مصر في مقدمة من احسن تصويرها وترجم عنها لشعوب الشرق . انتهى

وقد علمنا بعد كتابة ما تقدم ان معالي رئيس الوفد عزم على العودة الى مصر والمرجح انهُ يبلغها قبل صدور هذا الجزء من المقتطف وان حالة مصر السياسية تقرر قريباً على ما يتمناهُ شعبها وكل محبيها وانها تكون انموذجاً لسائر البلدان الشرقية فتعيد مجد الشرق وتسير في طليعته